سينما الثورة التحريرية ودورها في التعريف بالمبادئ الإنسانية للكفاح الجزائري 1954-1962

الباحث: محمد محمدي

جامعة محمد البشير الابراهيمي – برج بوعريريج

Mohamedbba1902@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/04/12 **تاريخ القبول: 2022/06/09**

ملخص:

لطالما اعتبرت الوسيلة الإعلامية على اختلاف أنواعها وأشكالها، واحدة من أهم الوسائل المؤثرة في حياة الأمم والشعوب عبر الحقب الزمنية المتعاقبة، إذ عدت هذه الأخيرة من أهم الوسائط المساهمة في تطور الأمم ورقي الحضارات التي أحسنت استعمالها، كما كانت بالمقابل أيضا وبالاً ومعولاً لهدم المنجزات وعامل خراب وانهيار للحضارات التي أساءت استخدامها أو تأخرت في مواكبة تطوراتها، لما لها من عظيم الأثر والقوة الخلاقة في نشر الوعي وروح المسؤولية بين الأفراد في المجتمعات في حال أحسن استعمالها والعكس كما اعتبرت الوسيلة الإعلامية أيضا؛ الوعاء الأمثل والأنسب لنقل الثقافات وتلاقح الأفكار من شعب إلى آخر أو من حضارة إلى أخرى.

وانطلاقا من الأهمية التي حازتها المنابر الإعلامية، في صيرورة الأحداث السياسية والعسكرية على حد سواء، وفي توجيه الأحداث وتحديد نتائجها ومآلاتها، فقد خصتها الثورة التحريرية الجزائرية الحظوة والمكانة المناسبتين في كفاحها التحرري ضد الاستعمار الفرنسي، من أجل التعريف بأسسها ومبادئها وكذا من أجل نشر القيم الإنسانية للثورة والتعريف بها لدى أحرار العالم وديمقراطييه.

ومن بين الوسائل الإعلامية التي وظفتها الثورة التحريرية، لتعميم مبادئها التحررية وقيمها الإنسانية لدى أحرار العالم وعقلائه، نجد الإعلام السينمائي الثوري، والذي كان

بحق جرعة الأكسجين لدفع وتيرة النضال التحرري، ورفع الصيت الخافت لتضحيات الجزائريين ونضالاتهم، نحو صدى أوسع وأشمل لدى منتسبي الإنسانية و السعي نحو بلوغ العالمية، ونقل آهات الجزائريين والجزائريات صوتاً وصورةً نحو بصيرة وبصائر الديمقراطيين والإنسانيين في العالم.

مقدمة:

جعلت الثورة التحريرية الجزائرية من العمل الدعائي والإعلامي لأحداثها وتطوراتها، خطا موازيا لعملها العسكري ونضال أبنائها من المجاهدين والمرابطين ضد آلة البطش الإستعمارية الفرنسية، وهذا ما أكدته مختلف المواثيق والأدبيات التي نظرت لأحداث هذه الثورة وتطوراتها الفكرية والعسكرية، وهي التي هزت وهلهلت استقرار عرش الفرنسيين وطمأنينتهم بها، ومن ذلك الدعوة الصريحة التي جاء بها بيان الفاتح نوفمبر 1954 ضمن فقراته، مبينا فيها أهمية العمل الدعائي والدبلوماسي، من خلال سعيه الى جعل القضية الجزائرية موضوعا عالميا يتجاوز بذلك القطرية أو الإقليمية الى ما هو أبعد من ذلك.

وذلك من خلال التركيز على العمل الدعائي، الذي اعتبر في بيان الثورة أحد الأهداف والأولويات التي ركز عليها المشروع الثوري، وبخاصة على المستوى الخارجي إذ حاز موضوع "**تدويل القضية الجزائرية**"[1] في المحافل الدولية النصيب الأوفر من محادثات الثوريين واهتماماتهم، وهو ما لا يتأتى دون دعاية وإعلام مكثفين لصالح القضية الوطنية، من أجل المضي قدما في مشروع التحرر الوطني، الذي وجب فيه التنسيق بين شقي العمل العسكري، والإعلام القائم على الدعاية الدبلوماسية لصالح القضية الوطنية عبر مختلف الوسائط الإعلامية.

ولعل ذلك ما أكده الميثاق التنظيمي الثاني للثورة التحريرية، في مؤتمر الصومام الذي كان عصارة للقاء التاريخي المنعقدة أشغاله بالمنطقة الثالثة (القبائل) في 20 أوت 1956 هذا الذي أولى مهمة عمليتي الدعاية والإعلام الموجه لصالح للقضية الوطنية نصيبها من المناقشة والاهتمام، وذلك ما عبرت عنه قرارات هذا المؤتمر الداعية الى التركيز الجم على مثل

هذه المنابر الدعائية والإعلامية، التي أضحت تنافس العمل العسكري في ساحات المعارك، من خلال تأثيرها الناجع في صناعة القرارات داخل مقرات السلط السياسية، ودورها المحوري في بلورة الرأي العام وتوجيهه في كثير من الدول والمجتمعات[2].

وبناء عليه فقد أضحت الثورة التحريرية، ملزمةً بناءً على ما ورد في نصوصها وأدبياتها، من تجسيد عملي للواقع الدعائي والإعلامي لأحداثها عبر الهياكل الإعلامية الحديثة، ولذلك فقد تم إفراد هذا الجانب بوزارة خاصة خلال الثورة التحريرية سميت "بوزارة الإعلام"، والتي تدعمت بكفاءات جزائرية شابة عقب الدعوة الصريحة التي وجهتها لهم جبهة التحرير الوطني في مؤتمر الصومام وما بعده، وكانت هذه الإطارات مكونة في مجالات فنية عديدة كالصحافة والمسرح والسينما[3]، كما كانت مؤهلة لتبليغ أحداث الثورة عبر الفنون الحديثة الوافدة[4].

وهي التي تعد واحدة من بين الفنون الجديدة على الساحة الجزائرية[5]، ما كان دافعا لتوظيفها خدمة للقضية الجزائرية والتعريف بمبادئها الإنسانية، وعليه فقد عالجت هذه الدراسة موضوع السينما الثورية ودورها في التعريف بالمبادئ والقيم الإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية، من خلال محاولة الاجابة على جملة التساؤلات الفرعية الآتي ذكرها:

1- متى ظهرت السينما الكولونيالية بالجزائر؟

2- ما هو موقع الثورة التحريرية في السينما الجزائرية؟

3- ما هو دور السينما الثورية في التعريف بالمبادئ والقيم الإنسانية للثورة التحريرية؟

1- ظهور السينما الكولونيالية بالجزائر:

لقد ارتبط ظهور فن السينما في الجزائر ارتباطا وثيقاً، مع الحراك الثقافي الذي شهدته القارة الأوربية خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهو ما تجلت ملامحه بادية للعيان في تأثر الفرنسيين بهذا الوافد الجديد، وانبهارهم بما وصل إليه التطور التكنولوجي، مما كان دافعا لهم لنقلهم إياه نحو مستعمرة الجزائر، إذ تعددت وسائط جلب فن السينما الى الجزائر، بين أولئك العسكريين أو المتخصصين من الفنانين الوافدين بهذا الفن الجديد نحو مستعمرة الجزائر[6].

وسواء كانت الواسطة في هذه العملية من العسكريين الفرنسيين، أو حتى من أولئك الفنانين و المثقفين الفرنسيين الذين اهتموا وتأثروا بمجالات السينما والأفلام، وجعلوا منها مهنة وهواية لهم بعد تنقلهم نحو الجزائر، إذ ساعدهم في هذا المجال الفني بالدرجة الأولى، ما تمتعت به الأرض الجزائرية من مناظر طبيعية خلابة، والتي أسهمت بشكل كبير في إضفاء الرونق الطبيعي، لهذا النمط الجديد من الفنون ذات الإقبال الجماهيري الواسع، كما ساهمت العادات والتقاليد الجزائرية كحفلات الزواج وألعاب الفروسية وغيرها، من مظاهر التنوع والتعدد التي تكتسي الطابع الثقافي عبر ربوع الجزائر الشاسعة، سيما تلك التي ترتكز في المناطق الداخلية منها والصحراوية.

أين ساهمت هذه العوامل في تشجيع السينمائيين الفرنسيين على ولوج هذا المجال دون تردد أو خوف، ومن ثم تصدير إنجازاتهم الفنية والسينمائية نحو بلدهم الأم وأبناءهم من عامة الشعب الفرنسي، بهدف التعريف بالجزء الثاني من أراضيهم الفرنسية، الواقعة جنوب البحر الأبيض المتوسط حسب الأسطورة الإستعمارية[7].

وللإشارة فإن الإيديولوجية الإستعمارية الفرنسية، كانت واضحة المعالم في هذا الفن منذ بداياته الأولى على أرض الجزائر، إذ برزت توجهاته الرامية الى خدمة الوجود الاستدماري في مستعمرة الجزائر، من خلال الملامح التي ظهر عليها إنتاج السينما الفرنسية في الجزائر، وهي العلاقة التي أرادتها السلطات الإستعمارية أن في إطار لن يخرج عن علاقة بلد مسيطر وبلد خاضع ، فكانت هذه السلطات تسهر أن يبقى هذا الفن الجديد حكرا لخدمة مشروعها الاحتلالي في الجزائر وحسب[8].

وحول هذه العلاقة يضيف المؤرخ أبو القاسم سعد الله بالقول أن سياسة التمييز بين الإنسان الفرنسي والأهلي الجزائري، ظلت حاضرة وبقوة في شق الفنون وخاصة في الأفلام السينمائية الطويلة منها أو القصيرة، إذ ورغم طابع الثراء والتنوع الذي ميز هذه الأخيرة، إلا أنها لم تكن تخلوا من النظرة الاستعلائية للفرنسيين تجاه الأهالي الجزائريين في قوله:" رغم أن الأعمال السينمائية الفرنسية، كانت على جانب كبير من الإيجابية، لما لها من ثراء فني

وشعبي مسلط للضوء على السكان والأرض، إلا أنها لم تكن تخلوا من مظاهر السيادة الوهمية للفرنسيين، كأساليب المعاملة والتمييز العنصري والعبث بالإنسان الأهلي، وإظهار للتفوق الحضاري الفرنسي"[9].

ومن هذا المنطلق فقد أصبحت حاجة الفرنسيين والمستوطنين المقيمين بالجزائر، لهذه الفنون الجديدة التي اكتسحت القارة الأوربية حاجة ماسة وأكثر ضرورة من ذي قبل، كما كانت دافعا كافيا لهم من أجل المطالبة بتصدير هذه التكنولوجيا الإعلامية والدعائية نحو الجزائر، حتى تكون لهم وسائل للإعلام والترفيه في نفس الوقت، ومن هذه الوسائل الإذاعة والتلفزيون...، وبالرغم من كون هذه الوسائل الحديثة فرنسية المنشأ والتوجيه والإنتاج، إلا أن المناضلين الجزائريين لم يبقوا بمعزل عن هذه التكنولوجيا الدعائية والإعلامية ، بل وجدناهم سرعان ما برهنوا في الميدان عن اكتسابهم سبل وأنماط سير مثل هذه الوسائل الحديثة، وتحكموا في تقنياتها وتمكنوا من توظيفها لصالحهم[10]، وذلك بالرغم من الصعوبات التي واجهتهم من قبل الأجهزة الدعائية والإعلامية الغربية وخاصة تلك الموالية للنظام الاستعماري، هذا الذي أضحى المتحكم في توجيه الإعلام بشتى وسائله المتاحة، لفائدة توجهاته الإيديولوجية وخدمة لمصالحه السياسية والاقتصادية، ومن بين هذه الأجهزة الإعلامية التي دجنت خدماتها لفائدة القوى الإستعمارية نذكر: وكالات الأنباء، الصحف، الإذاعات والتلفزيونات[11].

وبناء عليه فإن ظهور السينما في الجزائر كان من بين روافد الظاهرة الإستعمارية الفرنسية، التي جعلت من هذه الوسائل الإعلامية وسائط في خدمة مشروعها الاستيطاني، والسعي للتمكين لوجودها في أرض الجزائر من خلال عمليات المسخ الهوياتي الممنهج لعناصر الهوية الوطنية الجزائرية (الدين، اللغة، العادات والتقاليد...)، من خلال توظيف هذه المدخلات الإعلامية ذات التأثير الواسع ورجع الصدى القوي لحملاتها الدعائية، إلا أن المقاومة الجزائرية قد شملت كل المجالات با فيها تلك التي واجهت مثل هذه الأنماط الدعائية للظاهرة الإستعمارية.

2- ظهور السينما الجزائرية وموقع الثورة التحريرية فيها :

ارتبط ظهور فن السينما في الجزائر خلال فترة الثورة التحريرية، بجملة من المعطيات والمؤثرات الداخلية والخارجية منها، وهي التي ساهمت بشكل كبير في دفع عجلة الكفاح التحرري الجزائري، نحو تبني سبل وخيارات جديدة في نمطية وأشكال التصعيد الدبلوماسي والدعائي للقضية الجزائرية، من أجل مواجهة التحدي المفروض من قبل القوى الإستعمارية، ويرى الملاحظون أن الجانب الدعائي والإعلامي للقضية الجزائرية، قد أخذ منحى تصاعدي وملحوظ نحو احتلال مكانة بين المنابر الإعلامية في العالم بهدف التعريف بحقيقة الأحداث الدائرة في الجزائر، لاسيما بعد القرارات التنظيمية التي سنها ميثاق مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، والداعية الى ضرورة إيلاء الشق الإعلامي للثورة التحريرية حصته من الاهتمام والنظر، لما لهذا الأخير من دور رئيس في إعطاء العمل الثوري بعده وحجمه الحقيقين، من خلال جهود التعريف بهذه الثورة التحررية لدى الرأي العام العالمي من جهة، والرد على أكاذيب وأكاذيب الدعاية الإستعمارية الهادفة الى على طمس الحقائق وتوجيهها نحو منحى لصالح خدمة الأغراض الإمبريالية والتمكين للتواجد الاستعماري الفرنسي على الأرض الجزائرية[12].

ومن بين الوسائل الإعلامية التي جعلتها الثورة التحريرية غاية وهدفا لاستغلالها والاستفادة من خدماتها، وواحدة من اهتماماتها الرئيسية بهدف تجلية الحقائق والتجاوزات المرتكبة في حق الجزائريين والجزائريات وفضح الجرائم اللاإنسانية للاستعمار الفرنسي، وكذا التعريف بكفاح الشعب الجزائري لدى الرأي العام العالمي، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف على أرض الواقع، فقد سعت السينما الثورية الجزائرية بدعم من قادة الثورة التحريرية وجبهة التحرير الوطني، لتبني السينما كوسيلة إعلامية موازية في الكفاح التحرري ضد القوى الإستعمارية.

ولذلك فإننا نجد أن قادة الثورة التحريرية قد سارعوا منذ البدايات الأولى للكفاح المسلح، في توظيف مثل هذه الوسائط الإعلامية والدعائية، وخاصة بعد اقتناعهم الكامل بأهمية الإعلام بشكل عام والإعلام السينمائي بشكل خاص وما حققته هذه الأخيرة من

نتائج غير متوقعة وصدى لدى الرأي العام، وذلك لما تمثله الصورة السينمائية والفيلم التاريخي أو الشريط الدعائي، من قدرة خارقة على تنوير المشاهد السينمائية بحقيقة كفاح الجزائريين وإيصال رسالة هذا الشعب نحو العالم الخارجي.

فما كان من حل جاهز في يد قادة الثورة التحريرية، إلا المسارعة للاتصال بأحد المتخصصين في مجال الفن السينمائي، بهدف الاستفادة من تجربته وخبرته في هذا المجال وهو المناضل "**جمال شندرلي**"، والذي تم تكليفه من طرف المسؤول السياسي لجبهة التحرير "**صالح الوانشي**"[13] المسؤول في هذه الفترة عن اتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا(1955–1957)[14]، من أجل البحث عن سبل وطرق جديدة تكفل لمهمة التعريف بكفاح الجزائريين ونضالهم التحرري ضد الاستعمار الفرنسي من النجاح، ومن هذه الزاوية الإعلامية التي تعد السينما أحد ركائزها الأساسية، أرادت الثورة التحريرية أن تفتح أبوابا إضافية لدعم و نصرة للقضية الوطنية والوقوف الى جانب المجاهدين في الجبال وساحات المعارك[15].

في حين يرى أحمد بجاوي أن تكريس الإعلام السينمائي لصالح الثورة التحريرية، كان بفضل الجهود الجبارة التي بذلها المناضل عبان رمضان، من خلال محاولاته المتكررة بإقناع الأحرار الفرنسيين لتقديم يد المساعدة للجزائريين في مسارهم التحرري، من خلال خبرتهم في المجال الاعلامي والعمل بواسطته على نقل حقائق الثورة التحريرية للرأي العام الدولي دون تشويه أو تزوير، وقد كان ذلك من خلال اتصاله وتكليفه لصديق الثورة السيد "**سيرج ميشال**" باختبار كل من "**روني فوتييه**"[16] و"**بيار كليمنت**" والتأكد من موقفهما تجاه الثورة وخاصة في ما يتعلق بقضية الدعم والمساندة الدعائية لها، وقد سعى عبان للعمل بمعية الأحرار الفرنسيين في مجال الدعاية السينمائية للثورة التحريرية، وذلك من الخبرة الكبيرة التي يمتلكها هؤلاء الأحرار في هذا المجال، وذلك ما كانت نتيجته سريعة من خلال انجاز عدد كبير من الأفلام السينمائية القصيرة والطويلة في ظرف زمني قصير، هدف التعريف بالقضية الجزائرية ونضالات أبناءها واستقطاب مساندة أحرار العالم وديمقراطييه، ولعل ما ما يثبت هذه الاتصالات المتبادلة بين الطرفين حول موضوع المساعدة السينمائية للثورة، هو

ما جاء على لسان "**مويرا شابو دلولين**" الابنة البكر لـــ"**روني فوتييه**" والتي أكدت أن والدها، قد التحق طواعية للعمل لصالح الثورة التحريرية بعد رغبته الشخصية في ذلك، والاتصالات المتكررة لطلب الانضمام والتي كان يتلقاها دوريا من قبل مسؤولي جبهة التحرير الوطني، وقد قرر قبول هذا الطلب مع نهاية سنة 1956 أين توجه الى منطقة النمامشة التابعة للولاية التاريخية الأولى[17] للقيام بأولى برامجه لصالح الثورة الجزائرية.

وانطلاقا من ذلك فإن جهود قادة الثورة التحريرية في مجال الدعاية السينمائية للقضية الوطنية قد تكللت بالنجاح، بعد إيلائها نصيبا من الاهتمام والتفكير في سبل انجاح هذا المشروع، وذلك ما تجلت ملامحه بداية في القرارات الصادرة عن مؤتمر الصومام والرامية الى تكثيف الدعاية الإعلامية حظها من الاهتمام، واستغلال مساعدة الكفاءات والخبرات المقدمة من طرف أحرار العالم خاصة من أولئك الفرنسيين، وذلك بجعل السينما حلقة وواسطة لنقل مأساة الأهالي الجزائريين بالصوت والصورة، نحو أحرار العالم وديمقراطييه، وهذا ما كانت لانعكاساته الأثر الطيب في كسب واستقطاب العديد من أنصار الأفكار التحررية أشخاصا كانوا أو حتى حكومات، وذلك تيقنا منهم لما يحمله هذا المشروع الثوري من مبادئ تحررية للإنسانية جمعاء.

3- دور السينما الثورية في التعريف بالمبادئ والقيم الإنسانية للثورة التحريرية:

يرصد لنا هذا المبحث أهم المبادئ والقيم الإنسانية، التي حملها مشروع السينما الثورية الجزائرية، من خلال تتبع أهم القضايا الإنسانية التي وظفها سينمائيو الثورة التحريرية، سواء تعلق الأمر هنا بالسينمائيين الجزائريين أو حتى من أولئك السينمائيين الأجانب، الذين سخروا أنفسهم وخدماتهم الفنية لصالح المشروع الثوري الجزائري، إيماناً منهم بعدالة هذه القضية ووجوب نصرتها ومساعدتها، لإسماع صوت قاطنيها من الأهالي المدنيين الى الرأي العام العالمي ووجدان ومشاعر الأحرار في العالم، وفي ذلك تكريس واضح لقيم العدالة والإنسانية التي أقرتها مبادئ الثورة التحريرية، وتميزت بها في فكرها وممارساتها الميدانية طيلة مدة كفاحها.

كما تعتبر هذه المبادئ والأهداف النبيلة من المسلمات التي رافع من أجلها الفنان السينمائي ومخرج الأفلام في عديد محطات الثورة التحريرية ، وقد كان شعارهم في ذلك الدفاع عن القضايا السياسية والاجتماعية للجزائريين، والتي أضحت يومياتهم بفعل الاضطهاد الاستعماري واقعا مأساويا يلازمهم في الحل والترحال، وذلك تحت وطأة السياسة الإبادية الممنهجة، التي تهدف الى إبادتهم والتخلص منهم لفسح المجال واسعا أمام الوافدين الجدد من المعمرين الأوربيين[18]، وذلك ما سنحاول إبراز معالمه من خلال رصد أهم المبادئ والقيم الإنسانية، التي وردت ضمن بعض أفلام السينما الجزائرية خلال الفترة الثورية والممتدة فعليا من 1957–1962، ومن أهمها نذكر:

أ- فيلم الجزائر أمة – une nation de l Algerie:

هو فيلم تاريخي وثائقي من إنتاج "مدرسة التكوين السينمائي"[19]، أخرجه المخرج الفرنسي الأصل "روني فوتييه" سنة 1957.

ومن المبادئ الإنسانية التي حملها هذا الفيلم هي التأكيد على الوجود الأزلي للأمة الجزائرية، مع تقديم الحجج والبراهين الدالة على أن الدولة الجزائرية تختلف تمام الاختلاف عن فرنسا الإستعمارية، وفي ذلك إثبات وتأكيد لجملة من القيم الحضارية التي تكرس الانتماء للأمة العربية الإسلامية للجزائر[20]،وذلك من خلال استحضار المرجعيات التاريخية، والتي تحددت بناء على أطرها المعالم الرئيسية للدولة الجزائرية منذ العصور القديمة، كما كانت صمام أمانها أمام كل المحاولات الطمسية التي انتهجها الإستعمار الفرنسي ضد الأمة الجزائرية دولة وشعبا.

ب– فيلم الجزائر تلتهب – Algerie en flammes:

هو عبارة عن فيلم تاريخي وثائقي من إنتاج مشترك بين السينمائي الفرنسي روني فوتييه وشركة –D.E.F.A– للتصوير السينمائي من جمهورية ألمانيا الديمقراطية، مجموع مدته الزمنية 23 دقيقة، أما لغته فهي اللغة الفرنسية، من إخراج روني فوتييه.

وقد شكل هذا الفيلم نقلة نوعية في مستوى التصعيد الإعلامي والدبلوماسي للقضية الجزائرية، من حيث بلوغها مستويات كبيرة من رجع الصدى السينمائي، إذ نجد أن هذا الفيلم قد استقطب العديد من الأنصار والمساندين للكفاح الجزائري، بعد نجاح هذا الفيلم في تصوير واقع الثورة التحريرية في صراعها مع قوى البطش الإستعمارية، أين تم تصوير الجزء الأكبر منه في منطقة الجزائر العاصمة بطريقة سرية، ساهمت في إضفاء الصبغة الجزائرية على هذا الفيلم الذي لاقى قبولا كبيرا في الأوساط العالمية.

ومن أهم المشاهد التي ظلت شاهدة على جدية عمل الفريق السينمائي لهذا الفيلم، هي الإصابة التي تعرض لها مخرج هذا الفيلم روني فوتييه أثناء مهمة إشرافه على إخراج هذا الفيلم، والنسخ العديدة التي وزعت من هذا الفيلم إذ بلغ عددها بالآلاف، وهي التي تم عرضها في أغلب دول العالم بإستثناء الدولة الإستعمارية "فرنسا"، التي لم يعرض بها هذا الفيلم الى غاية 1968[21].

ومن بين القيم الإنسانية وردود الفعل الإنسانية التي حققها الفيلم، هي تلك الموجات اللامتناهية من حملات التأييد والمساندة التي حظيت بها القضية الوطنية في مختلف دول العالم المحايدة، بعد عرض الفيلم في كثير من البلدان العالمية وبخاصة في الدول الشرقية من أوروبا، وذلك إدراكا منهم لعدالة هذه الثورة التحررية ووجوب تأييدها ونصرتها لكونها تمثل الأنموذج التحرري الذي يسعى الى الانعتاق من براثن القيود الإستعمارية[22].

ج- فيلم ممرضات جيش التحرير الوطني – Les infirmaries De L ALN:

يصنف هذا الفيلم ضمن الأفلام التاريخية الوثائقية، من إنتاج مدرسة التكوين السينمائي، وهو من الأفلام القصيرة إذ لا تتجاوز مدته الزمنية 6 دقائق، وصورته باللونين الأبيض والأسود، أما ما يتعلق بالإخراج فهو إخراج جماعي لطلاب مدرسة التكوين السينمائي، أنتج سنة 1957.

أما ما يتعلق بالقيم الإنسانية التي تضمنها فيلم ممرضات جيش التحرير الوطني، فهي الكشف عن الجهود الكبيرة التي بذلتها المرأة الجزائرية لصالح الثورة التحريرية، إذ نجد أن هذه

المرأة قد نهضت بالعديد من الأدوار والمهام الثورية جنبا الى جنب مع أخيها الرجل وساهمت مساهمة فعالة في مسيرة الكفاح والتحرر التي قادها أبناء الجزائر رجالا ونساء[23].

ومن بين المهام التي أوكلت للمرأة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية، نجد اقتحامها البطولي للسلك الطبي الثوري من خلال سهرها على القيام بشؤون المرضى والجرحى من جنود جيش التحرير الوطني[24]، وذلك ما يعد من أسمى القيم والغايات التي بلغتها الثورة التحريرية، من خلال نهوض المرأة الجزائرية بمهام التمريض لصالح بمهام التمريض لصالح إخوانها من المجاهدين، وهو ما يبرز روح التآزر والتآخي بين المجاهدين الجزائريين، وبلوغ المرأة مرتبة أصبحت فيها قيمة مضافة من قيم هذه الثورة، من خلال التغير الذي طرأ على حياتها بين عشية وضحاها، فمن عالم القهر والعبودية للاستعمار الفرنسي نحو عالم جديد تسوده المثل العليا والقيم النبيلة والمصلحة المشتركة بين جميع الجزائريين[25].

د– فيلم اللاجئون – Les Refugies:

تصنف أحداث هذا الفيلم ضمن المواضيع التاريخية الوثائقية، وهو من إنتاج شبكة جانسون Roseau Jeanson [26]، صور هذا الفيلم جاءت باللونين الأبيض والأسود ومدته الزمنية 14 دقيقة، أنتج هذا الفيلم سنة 1957، من إخراج الفرنسية سيسيل دي كوجيس Cecile de Cujis، التي تعرضت للمضايقة من طرف السلطات الفرنسية، الى درجة وصل الأمر الى الزج بها في السجن مدة سنتين كاملتين.

وللإشارة فإن أطوار الفيلم تدور حول المأساة التي عاشتها فئة كبيرة من الجزائريين، بعدما أجبر العديد منهم على المكوث قصرا في المحتشدات التي أنشئت خصيصا لهذه الفئة من الجزائريين[27]، سيما بعد عمليات التهُجير التي طالت أعدادا كبيرة القاطنين بالمناطق الحدودية الشرقية والغربية، وطردهم من أراضيهم وممتلكاتهم لإقامة الأسلاك الشائكة والمناطق المحرمة ضمن ما يعرف بسياسة التطويق الحدودي وإقامة خطي شال وموريس[28] وقد صور لنا الفيلم معاناة هؤلاء اللاجئين عبر المراكز الحدودية الشرقية، وما لاقاه هؤلاء من أوضاع اجتماعية وثقافية متأزمة ساهمت في تعميق مأساتهم وزيادة معاناتهم[29].

ومن القيم الإنسانية التي حملها فيلم اللاجئون الجزائريون، هي إبراز أوجه المعاناة التي تكبدها المدنيون الجزائريون من جراء الاضطهاد الاستعماري، الذي مارس كل أنواع القهر والتنكيل تجاه العائلات الجزائرية التي اضطرت مكرهة لترك أملاكها ومنازلها وأهاليها، فرارا من البطش الاستعماري الممارس ضدها، ومن الفئات السكانية التي كانت الأكثر عرضة لمختلف المآسي عبر المراكز الحدودية، نجد الفئات الهشة من النساء والأطفال وكبار السن[30] الذين تم إيوائهم في مراكز خاصة بهم على طول الحدود مع الجارتين تونس والمغرب[31].

وقد أحدث هذا الفيلم ضجة كبيرة بعد صدوره، سيما في فرنسا التي سجنت بها مخرجة الفيلم سنتين كاملتين بسبب إساءتها لسمعة السلطات الفرنسية في هذا الفيلم[32] كما تمكن هذا الفيلم من الدعاية للقضية الجزائرية خارج الحدود الجغرافية لها، وأكسبها العديد من الأنصار والمؤيدين وذلك من منطلق اللقاء الإنساني حول التحرر كقيمة من القيم الإنسانية التي تسعى البشرية الى تجسيدها على أرض الواقع، وتحطيم النير الاستعماري بالمقابل من ذلك من خلال محاصرته ونشر المثل والمبادئ الإنسانية في العالم أجمع.

خاتمة:

إن الثورة التحريرية الجزائرية لم تكن حدثا عابرا أو رد فعل عشوائي على واقع اضطهادي فرضه النظام الاستدماري الفرنسي فحسب، كما لم تكن هذه الثورة أيضا حربا من أجل الحرب أو تلذذا بسفك الدماء وإزهاق أرواح الآدميين من الأبرياء والمدنيين، كما فعل أحفاد فلاسفة عصر التنوير ومنظري الثورة الفرنسية 1789 القائمة على أسس من العدالة والمساواة والأخوة، بقدر ما كانت هذه الثورة حربا وثورة على مستوى القيم والأخلاق التي أقرتها مختلف الشرائع السماوية، وثمنتها ثم جسدتها المواثيق الدولية والعرفية قانونا إنسانيا يحتكم إليه في حال الحروب والنزاعات العسكرية الناشبة بين الدول.

وانطلاقا من ذلك فإن الثورة التحريرية، قد آثرت وبادرت الى توظيف مختلف الوسائط الإعلامية والدعائية الى نشر قيمها ومبادئها الإنسانية، الرامية الى نشر الحرية ومثل العدالة والمساواة بين الجزائريين مهما اختلفت انتماءاتهم أو توجهاتهم الفكرية، كما استهدفت الثورة

الجزائرية إعطاء كفاحها التحرري بعدا دوليا وعالميا، يمكنها من استقطاب الأحرار والديمقراطيين من أنصار الحرية والديمقراطية في العالم.

وبناء عليه كان خيار المجاهدين الجزائريين وقادة الثورة التحريرية، قائما على مواكبة التطور الإعلامي والدعائي من خلال توظيف مختلف الوسائل الإعلامية التي كانت بداياتها في الجزائر ظاهرة استعمارية، والتي يعد الفن السينمائي أحد فروعها الرئيسية والمحورية التي راهن عليها قادة الثورة من أجل تحقيق الوثبة الدعائية والإعلامية للقضية الوطنية، وهو ما تجسد فعليا في مجموعة كبيرة من الأفلام التي تعالج وقائع الثورة التحريرية، ومحاولة في الوقت ذاته نقل المبادئ والقيم الإنسانية التي طبعت هذه الثورة الرمز، تجاه أحرار العالم وديمقراطييه من أنصار وناشري العدالة والحرية في العالم.

الهوامش والإحالات

(1)- وزارة الإعلام والثقافة: **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954–1962**، الجزائر 1979، ص09.

(2)- أحمد منغور: **موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة التحريرية الجزائرية**، رسالة ماجستير، إ: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006، ص18.

(3)- محمود توفيق اسكندر: **الحركة الدولية لجبهة التحرير الوطني 1954–1962**، ط1، منشورات السائحي، الجزائر، 2016، ص145.

(4)- بوعلام بن حمودة: **الثورة الجزائرية – ثورة أول نوفمبر 1954– ومعالمها الأساسية**، دار النعمان، الجزائر، 2012، ص323.

(5)- أبوالقاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي1830–1954**، ج05، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص302.

(6)- مراد وزناجي: **الثورة التحريرية في السينما الجزائرية 1957–2012**، دار الأمة، الجزائر 2014، ص33.

(7)- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج05، **المرجع السابق**، ص302.

[8]– جهاد الغرام: دور الإعلام في فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر 1954-1962، **دورية كان التاريخية**، ع17، السنة 05، 2012، الكويت، ص73.

[9]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج05، **المرجع السابق**، ص302.

[10]– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1954–1962** ، ج10، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص383

[11]– صالح بن النبيلي فركوس: **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للأحتلال الفرنسي– المقاومة المسلحة 1830–1962**، دار العلوم، الجزائر، 2012، ص446.

[12]– وزارة الإعلام والثقافة: **المصدر السابق** ، ص33.

[13]– من مواليد 21 جوان سنة 1923 (بمنطقة إيغيل مال) بالقبائل الكبرى مستهلا مشواره النضالي من خلال انخراطه في صفوف الكشافة الاسلامية بالمنطقة، ومنها أصبح عضوا ناشطا في حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وأصبح قياديا باللجنة المركزية للحركة من 1953-1954، كما تولى مناصب أخرى منها مشرفا على صحيفة صوت الشباب الصادرة باللغة الفرنسية، وعند إندلاع الثورة لم يتردد في الإنضمام الى صفوفها أين عمل مساعدا لعبان رمضان في الجزائر العاصمة، هذا الذي طلب منه الإلتحاق بفيدرالية الجبهة بفرنسا، أين كان له دور بارز في زرع خلايا المناضلين الجزائريين في الأوساط الجزائرية المهاجرة هناك، كما بذل جهودا جبارة في التصدي للحركة المصالية في الفترة 1955-1957، واستطاع بفضل حنكته السياسية استقطاب العديد من الأحرار الفرنسيين لخدمة الثورة التحريرية؛ ينظر، آن ماري لوانشي: **مسيرة مناضل جزائري** ، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص12. أيضا، عبد الله مقلاتي: **قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية**، ط1، دار بلوتو، الجزائر، 2009، ص534.

[14]– أحمد بجاوي: **السينما وحرب التحرير– الجزائر معارك الصور**–، تر: مسعود جناح، منشورات الشهاب، الجزائر، 2014، ص61.

[15]– مراد وزناجي: **المرجع السابق**، ص 39.

[16]– ارتبط اسم روني فوتييه ارتباطا وثيقا مع ظهور السينما الجزائرية وخاصة الثورية منها، وقد قال فيه المؤرخ السينمائي تانغي بيرون واصفا شجاعته وإقدامه في مهنة السينما، محاولا بذلك كشف الحقائق المغيبة وإماطة اللثام عنها، إذ ذكر يقول حوله:" **هو رجل أسطوري يحمل الأسطورة في ذاته، وسينمائي شجاع يفوز في الحملات، ثرثار لا يتوقف، لن يكفي كتاب ولا سيل من**

الصفات لوصفه حتي يظن المرء أن معظم الصفات توجد في هذا الرجل" ينظر، أحمد بجاوي: **المصدر السابق**، ص 69.

(17)– أحمد بجاوي: **المصدر نفسه**، ص71.

(18)– عبد الكريم بوصفصاف: **القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية 1954–1962**، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003، ص17.

(19)– هي عبارة عن خلية تهدف الى تكوين الأدباء الفنانين الجزائريين من أمثال المخرجين والسينمائيين، وقد ضمت العديد من المؤلفين والأدباء المشهورين على الساحة الوطنية أمثال: فرانز فانون، مفدي زكريا وغيرهم؛ ينظر، مراد وزناجي: **المرجع السابق**، ص 52.

(20)– مراد وزناجي: **المرجع السابق**، ص53.

(21)– مراد وزناجي: **المرجع نفسه**، ص54.

(22)– محمد مجاود: المجالات الإنسانية في الثورة الجزائرية، **الملتقى المغاربي الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية**، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، دار الغرب للنشر، الجزائر، 2003، ص22.

(23)– أنيسة بركات درار: **نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية**، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص30.

(24)– عبد الكريم بوصفصاف: **المصدر السابق**، ص12.

(25)– عبد الكريم بوصفصاف: **المصدر نفسه**، ص09.

(26)– شبكة مكونة من مجموعة كبيرة من المثقفين الفرنسيين المتعاطفين مع الثورة التحريرية، أسست من طرف فرانسيس جانسون سنة 1957 في فرنسا ، من مهامها تقديم الدعم والمساعدات وجمع الإشتراكات وتسهيل تحركات المناضلين الجزائريين على الأراضي الفرنسية، للاستزادة ينظر، ماري بيار أولوا: **فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل**، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص113.

(27)– هي مراكز خصصت لتجميع الأهالي الجزائريين، جاء قرار إنشائها بعد استحداث المناطق المحرمة التي ظهرت بعد الإجراء الداعي الى إقامة خطي شال وموريس على الحدود الجزائرية الشرقية والغربية، وذلك لفصل الثورة عن الشعب من جهة وعن الأشقاء التونسيين والمغاربة من جهة أخرى؛ محمد بن سليمان: **محتشدات السكان إبان حرب التحرير الجزائرية 1954 1962**، ط1، و.إ.إ.س.ت، الجزائر، 2010، ص10.

(28)– جمال قندل: **خطا موريس وشال وتأثيراتهما على الثورة التحريرية 1957–1962**، دار بلوتو الجزائر، 2008، ص108.

(29)– صالح عسول: **اللاجئون الجزائريون في تونس ودورهم في الثورة 1956–1962**، رسالة ماجستير، إ: يوسف مناصرية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008–2009، ص59.

(30) – ANA :6G1/04/02/005.

(31)– عمر بوضربة: **النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سبتمبر1958–جانفي 1960**، دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص 219.

(32)– مراد وزناجي: **المرجع السابق**، ص57.